ومن كل ما سبق يتضح لنا أن مفهوم السنة الإلهية هي: طريقة الله تعالى في معاملة خلقه، كل نوع من الخلق حسب المهمة التي خلق من أجلها.

٢/١: خصائص السنن الإلهية

من استقراء الآيات الكريمة في كتاب الله تعالى، التي تحدثت عن سنة الله في معاملة خلقه، يتضح لنا أن للسنة الإلهية عدداً من الخصائص، يمكن أن نورد أهمها فيما يلي:

١/٢/١: الإطراد وعدم التخلف

ذلك أن النواميس التي تحكم الحياة، جارية لا تتخلف والأمور لا تمضي جزافاً، وإنما تتبع هذه النواميس[1]. يقول الله تعالى ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[فاطر:٤٣]. إن التعبير ينفي الوجود (لن تجد) يقطع بالاطراد والاستمرارية وعدم التخلف، فيما يتعلق بالسنن الإلهية وحكمها للحياة، أي أن أول ما تتصف به السنة الإلهية هو الاطراد وعدم التخلف.

٢/٢/١: عدم التعارض بين اطراد السنة وطلاقة المشيئة

إن اطراد السنة الإلهية واستمراريتها وعدم تخلفها لا ينافي أو يتعارض مع حقيقة ثابتة هي طلاقة المشيئة الإلهية، ذلك أن مصدر السنة ومجريها هو الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى هو الذي أعطى السنة الإلهية اطرادها واستمراريتها وثباتها وعدم تحولها أو تبدلها.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١٠، مجلد١، ص٤٧٨.

وعليه فإن الاستعانة بالسنن والسير على هديها، طلباً للنتائج المرتبطة بها ليس إلا استجابة لأمر الله تعالى، وخضوعاً لإرادته، أي أن استخدام السنن ليس بعداً عن الله تعالى أو اعتماداً على غيره سبحانه، وإنما هو من أمر الله تعالى واستعانه به، فهو مصدر السنة، وهى سنة إلهية. أي أن السنن واطرادها لا يتعارض مع مشيئة الله تعالى، وطلاقة هذه المشيئة، وأن الله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[البروج:١٦].

١/٢/٣: عدم التعارض بين إطراد السنن واختيار الإنسان

إن وجود سنن مطردة تحكم الحياة والأحياء، والكون المادي والاجتماع البشرى، لا يتعارض مع إرادة الإنسان أو يناقضها، ولا ينافى اختيار الإنسان وحريته، ذلك أن إمكان الإنسان أن يكتشف السنن ثم يعمل بغير ما هدى إليه، أي أنه يتعامل مع السنن التي تحكم الاجتماع البشرى بإرادته واختياره، ويستطيع أن يسير موافقا لها مستفيداً من عطائها، كما يستطيع أن يتحداها ويعاندها، ويعمل لغير ما ينبغي أن يعمل به، غاية الأمر أن هذا التحدي لا يستمر طويلاً، انه تحدٍّ يقع في الأجل القصير فقط، أما في الأجل الطويل فإن عاقبة التحدي لسنن الله تعالى والخروج عليها، تنتهي بعدم استقامة الحياة، واضطرابها، وفساد حياة الإنسان والجماعة والمجتمع.

١/٢/٤: عمومية السنة الإلهية

من أهم خصائص السنة الإلهية أنها عامة تنطبق على الجميع، فلا تحابى فرداً من الأفراد، ولا جيلاً من الأجيال أو جنساً من الأجناس. إنها كما حكمت

الزمن الماضي، تحكم الحاضر وستحكم المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كما تنطبق على غير المسلمين تنطبق على المسلين، وكما تنطبق على العجم تنطبق على العرب وغيرهم من شتى الألوان والأجناس يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾[آل عمران:١٣٧]، ويقول: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[فاطر:٤٣]. ويقول سبحانه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[الأحزاب:٣٨]

إن سنة الله تعالى لا تحابى أحداً، فصحابة رسول الله ﷺ لما لم يحققوا شروط النصر في موقعة أحد، لم تحابهم سنة الله في النصر والهزيمة، مع أنهم أطهر أهل الأرض في هذا الوقت، والعابدون له حقاً ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. إن سنن الله عامة تنطبق على الكافة، ولا تحابى فريقاً.

تلك أهم خصائص السنة الإلهية التي ينبغي استيعابها، حتى لا نخطئ في التعامل معها أو نظن أننا مستثنون من الخضوع لها.

١/٣: ميادين السنة الإلهية

ما من جانب من جوانب عالمنا الذي نعيش فيه ـ المادي منها والمتعلق بالبشر وعلاقات الجماعات ـ إلا ولله فيه سنن حاكمة. يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[الطلاق:٣]. أي سنناً ونظماً حاكمة، تحكم هذا الشيء. وعبارة ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في الآية الكريمة لا يخرج عن عمومها شيء.